# مجدلية اخرى

لم تكن أوّلَ مَن اساءَ اليها الرجلُ فانّ أمثالها كثيراتٌ ممن دفعهنّ الجهلُ الى ارتكاب ما ارتكبنهُ ، والقاء تحيّة الوداع على الفضيلة والعفاف . أليست أزقّتنا مزدحمة بأقدام هولاء البائسات ؟ أليست المدن الكبرى قائمة على أطلال بابل ، والرذيلة تمثّلُ أفظعَ أدوارها في زواياها المظلمة ؟ أليس السين والتاميز وارثَين لماء التيبر الذي شربته رومية الفاجرة ، وماء الفرات الذي ارتوت بهِ نينوى الزانية ؟ أليست شوارعنا مسارح لتمثيل تلك الأدوار التي تقشعرُّ لها الأبدان ، وتتململ لها العظام التي في القبور ؟ أهذهِ مدنيّتك أيها العالم ، وهذهِ فضيلتك أيها الانسان ؟ مستبدٌّ أنت ؟

ان كنت ملكاً فكن عادلاً ؛ وان كنت بشراً فكن عاطفاً ؛ وان كنت غنياً فانفق ثروتك في غيرِ الزوايا المظلمة . لماذا تحفر هاويةً لسقوط المرأة ؟ كفى ما أوصلتها اليهِ من البؤس والشقاء

* * *

تائهة في باريس !

في تلك المدينة العظيمة ؛ في ذلك الاوقيانوس المتلاطم ؛ وحيدة لا بيتَ لها فتأوي اليهِ ، ولا سقف فتبيت تحته . للطيور أوكار ، وللبهائم زرائب . واما هي فليس لها أين تسند رأسها

الرواية القديمة : باعت نفسها لرجل سامها في عرضها . أعطتهُ قلباً

مملوءًا اخلاصاً . فنقدَها ثمنهُ خزياً وعاراً . فتحت لهُ صدراً رحيباً ، فحفر لها مهواةً أرحب . تركت العالم من أجله فترك لها كل مذلة وهوان

رحماك ! الى أين تقذف بي أيها الانسان ؟

* * *

اصرخي ما شئتِ أيتها البائسة ؛ أغضبتِ أبويكِ فطرداكِ ؛ أغضبتِ العالم فنبذك ؛ أغضبتِ اللهَ فأدار وجههُ عنكِ

أصرخي ما شئتِ . قولي لذلك الجالس على كرسي العدل ، الرابض على عرش الرحمة : « الهي الهي لماذا تركتني ؟ » أألستِ مرفوعةً على صليب الهوان ، وتحت قدميكِ هاوية الأبدية اللافرارَ لها

علامَ تلومين البشر ؟ هلاَّ بعتِ عفافكِ الاَّ للوحوش الضارية ؟ هلاَّ ساومتِ في عرضكِ الاَّ على قوارع الطرق ؟ ألم تعلمي ان الازهار التي يفترشها لكِ الانسان الوحش ، وأنتِ في ثوب العفاف ، تنقلب اشواكاً متى خلعتِ ذلك الثوب ؟ هوذا الأحلام التي كنتِ تعللين بها نفسكِ قد انقلبت الى خيالات مرعبة فهي تصوّر لكِ الآن ظلمات الأبدية وتمثّل لعينيكِ هاوية الشقاء اللافرَار لها

* * *

الدير ؟ . . .

وهل تمادى بكِ الغرورُ حتى زعمتِ ان الدير مأوى الساقطات ؟

هل توهمّتِ ان السقف الذي يظلل بنات الله الطاهرات يظلل أمثالكِ من الفتيات اللواتي لسنَ عذارى ولا أُمهات ؟ . .

أَيكون الدير مأوًى لراحاب وهيروديا ومرغريت وفرناند ؟

الدير ؟ . . .

هل يكون الدير ملجأً للواتي كسرنَ وصية الله القائل لا تزنِ ؟

هل يكون الدير مأوًى لمن هجرنَ العفاف واسأنَ الى المجتمع العمراني وآثرنَ منعطفات الطرق على الهياكل والمعابد ؟

هل الدير ملجأ لكل امرأةٍ يطاردها العالم لينزل بها العقاب على ما أتتهُ من الشرور والمآثم ؟

* * *

أجل ! ان لم يكن الدير ذلك فيجب ان يكون كذلك ؛ يجب ان يكون أوّل محطة على الطريق الى السماء

* * *

تائهة في باريس ! . . .

بيت أبيها موصدٌ في وجهها ؛ وباب الدير موصد في وجهها ؛ وباب السماء موصد في وجهها ! فالى أين تأوي ؟

هنيئاً لكِ يا خالعة ثوب العفاف . ألم تتنعمي بالسعادة التي كنتِ تحلمين بها ؛ فماذا تطلبين بعد ؟

ميتاً ؟ . . .

هوذا قوارع السيل !

هوذا مهاوي الشقاء !

هوذا القبر !

ووراء ذلك القبر وحشة الأبدية اللانهاية لهـا ، وحجاب الظلمة يكتنف النفس فيزيد في عذابها ، وكلّ لحظة قرون واحقاب مملة

* * *

رحماك اللهم ! ان عرشك ليس عرشَ العدل فقط بل عرش الرحمة ايضاً . فانظر اليّ من فوق عرشك هذا دون عرشك ذاك . واذكر انك جبلت المرأة على الضعف ، وقذفت بها بين براثن الرجل المستبد

رحماك اللهمّ ! انك تؤدّب ولكنك انزه من أن تنتقم . فقاصصْ ولكن اجعل مع القصاص متّسعاً من الرحمة . عاقب ، ولكن اجعل مع الشدة منفذاً . انك ارحم من أن تبخل على شقية مثلي بنظرة شفقـة واحسان

الى أين اذهب يا الله ؟ ألم تجعل للطيور اعشاشاً ، وللثعالب أوكاراً ، وللبهائم زرائب ؟ فأين أسند رأسي في هذا الليل الحالك — في هذه المدينة المظلمة — في هذا الاوقيانوس المتلاطم ؟ الم تعفُ عن راحاب وتغفر للمجدلية ؟ ألم تقل لتلك البائسة التي شكوها اليك : « ولا أنا ادينكِ . اذهبي ولا تخطئي بعـد ؟ » ألم تقل ان الأعلاّء هم الذين يحتاجون الى طبيب ؟

يا لك من عصرٍ شديد النحسِ ضاعت بهِ الرحمة تحتَ الشمسِ
لم تلق مأوىً فيهِ غيرَ الرمسِ وغيرُهـا متمتّعٌ بالأنسِ
في عالم أحلامُـهُ غرورٌ

سليم عبد الاحد